فوق رؤوس أصحابها، والمقابر الجماعية التي حوت عشرات أو مئات الجثث مالوا لاحتساب الغائبين بين الضحايا، وقدموا رواياتهم على هذا الأساس.

فريق الباحثين الذي أجرى المسح الميداني، أفاد، في هذه النقطة،من كونه بدأ متأخرا بعض الشيء، حيث كانت معلومات أدق عن الأقرباء والمعارف قد توفرت لسكان المخيمين الذين أدلوا بشهاداتهم من جديد. وهكذا أمكن الوصول إلى تقدير لعدد الضحايا أدعى للوثوق بدقته.

مع ذلك، لا بد من القول إنه ما يزال من المتعذر وضع اليد على الرقم الدقيق دقة كاملة. ذلك أن المجزرة جرت في وقت تتصف فيه حالة المخيمين بعدم الاستقرار، مما يجعل من المتعذر التأكد مما إذا كان الغائبون قد وقعوا ضحايا، أو انهم سبق ان غادروا قبل أيام. ثم أن عددا كبيرا من الضحايا غابوا تحت انقاض البيوت، أو في الحفر الكبيرة او الصغيرة التي تحولت إلى مقابر جماعية. وهناك ضحايا آخرون لقوا حتفهم في أماكن عدة خارج المخيمين بعد أن اسروا واقتيدوا إليها، وربما لم يزل عدد منهم أسرى لدى الاسرائيليين، أولدى جهات أخرى. وقد وجدت بالفعل جثث في الناعمة وكفرشيما وطريق المطار. وهناك من دفنوا جثث اقربائهم، دون أن يعلموا أيا من الجهات التي بادرت إلى المعاونة في الدفن أو أجرت احصاءات للضحايا.

وقبل أن نقدم تقديرنا للعدد. نورد فيما يلي ابرز التقديرات التي نشرتها جهات أخرى: الصليب الاحمر اللبناني، قدر العدد بنحو ألف ضحية[٢١٠]، وكذلك فعل الصليب الاحمر الدولي[٢١١]. وهذا التقدير شمل فقط جثث الضحايا التي عاينها رجال المؤسستين وهم يدفنون الموتى. وقدرت جريدة السفير العدد بـ ١٤٠٠[٢١٢]، وجريدة النهار بـ ٦٦٣[٢١٣]، ونشرت وكالة أنباء فرانس برس رقما قريبا من هذا، ٦٢٧[٢١٤]. أما مجلة الحوادث فرفعت العدد إلى ٢٥٠٠[٢١٥]، والكفاح العربي إلى ٣٥٠٠[٢١٦]، في حين تحدثت جريدة العمل الناطقة بلسان حزب الكتائب عن ٢٠٠٠ ضحية[٢١٧]. وتفاوتت كذلك تقديرات المصادر الاسرائيلية، ففي حين ذكر شارون أن المخابرات الاسرائيلية تقدر عدد الضحايا بما بين ٧٠٠ الى ٨٠٠ قتيل[٢١٨] تحدثت إذاعة الجيش الاسرائيلي نقلا عن مصادر صحفية عن ٤٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ قتيل[٢١٩]. وتحدث مراسلون أجانب عن أعداد تراوحت بين الألف الواحد والآلاف العديدة. وذكرت أوساط شركة «أوجيه لبنان» التي ساهمت في رفع الأنقاض أن عدد الضحايا تجاوز الألفين[٢٢٠]. ومصادر منظمة التحرير الفلسطينية خارج لبنان أعطت تقديرات تفاوتت أرقامها بمضي الوقت وذلك، فيما يبدو، انسجاما مع توفر المزيد من المعلومات؛ ففي البداية تحدث ياسر عرفات عن وقوع ٣٢٠٠ شهيد[٢٢١]، وفي وقت لاحق تحدث عن ٦٠٠٠[٢٢٢]. واعتبر عبدالله الافرنجي ممثل م. ت. ف. في جمهورية ألمانيا الاتحادية أن الرقم بلغ ٥٠٠٠[٢٢٣].

بعد التمحيص في هذه الروايات ودوافعها، والقرائن التي استندت إليها، وبعد استجوابات متأنية لأعداد كبيرة من شهود العيان، ومن المسؤولين في مؤسسات معنية، يمكننا القول إن عدد ضحايا مجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا هو في حدود ثلاثة آلاف. وقولنا هذا لا يلغي إمكان ان تتوصل أبحاث متأنية ومتشعبة يتوفر لها الوقت الأنسب، إلى تقدير اكثر دقة واقرب إلى الصواب.

خاتمة

طبعا، هناك عدة أغراض برزت في سياق الأحداث، كانت من بواعث موافقة الاسرائيليين على دخول الكتائب إلى صبرا وشاتيلا، وموافقتهم الضمنية والواضحة على تنفيذ المجزرة، وتقديمهم العون المادي والبشري للمنفذين، ثم غضهم النظر عن الافراط في أعمال التقتيل والتمثيل بالضحايا، وإعطاؤهم الوقت الكافي لهؤلاء المنفذين ليكي يتموا مهمتهم، وبالتالي نكولهم